الإصلاح الإجتماعي في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

أ.م.د. محمود عبد الستار شلال الدهان
&
أ.م.د. سرمد فؤاد شفيق العبيدي
جامعة الفلوجة - كلية العلوم الإسلامية

مستخلص

تعددت الأساليب والوسائل التي انتهجها القرآن الكريم في جملة من الآيـات والسـور القرآنية، لتشمل أنواعا مختلفة من وسائل الإصلاح القرآني لمجالات الحياة، جـاء ذكرهـا فـي صفحات هذا البحث، بل جاء القرآن الكريم بأساليب بلاغية ونداءات خطابية وأصول تشـريعية ليحدد الهدف من وجود الانسان في هذه الحياة، ووفق منهج رباني يحفظ كرامته، ويحميـه مـن شتى طرق الزيغ والانحراف، وأكد القرآن منذ نزوله على رسول الله ﷺ بأن الأنسان لا يمكـن أن يعيش بمعزلٍ عن غيره في هذه الحياة، فَخلقُه لم يكن عبثاً ولا لهواً، بل لغاية عظمى وأسـمى هي إعمار الأرض، وبناء مجتمع مؤمن وفق معايير وأسس اقتضتها حكمة المولى سبحانه، كونه خليفته في أرضه، فالقرآن يدعو الى إصلاح المجتمع في كل نواحيه اصلاحا شـمولياً وكـاملاً، لتتحقق بتلك الشمولية السعادة المرجوّة، والتي تفضي الى سعادة المسلم في الدنيا، ونيل رضا الله تعالى في الآخرة، فالقرآن الكريم يعدُّ الاصلاح الاجتماعي مـن اعظـم الضـمانات الحقيقيـة لاستقرار جميع المجتمعات، وبقاءها حيَّة مستقرة قائمة على أُسس متينة، فقوة أي مجتمعٍ في هذا الوجود تكمن في متانة الروابط الاجتماعية فيما بين أفراده، بل ومن خلال سلامة تلك الـروابط وعلى وفق مبدأ الأخوة الصادقة، ومبدأ المودة والاحترام لحقوق الغير وعدم التجاوز عليها، لنجد ثنايا السور والآيات تؤكد على تلك الأهمية الاصلاحية في كافة المجالات، وحتـى لا ينحـرف الأبناء وتتدهور الحياة للمجتمع، ولن يكمن ذلك إلاّ من خلال الاصلاح، وكـذلك فـإن القـرآن الكريم يقدم للجميع مفاتيح الاصلاح الصالحة لكل الأزمنة والأمكنة، والمتأمل في تلـك المفـاتيح يجد أنها تراعي كل مصالح الخير في اصلاح الأفراد والجماعات، لذا كان السعي في كتابة هـذا البحث ووفق هذا العنوان، لما للإصلاح الاجتماعي من دور كبير في العلو والرقي، وعلى كافـة الاصعدة والمجالات في بناء المجتمع المسلم.

المقدمة

الحمد لله مستحق الحمد، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ رافع لواء المجد، وعلى آله وصحبه وبعد:

فقد دعا القرآن الكريم في كثير من آياته الى إصلاح المجتمع إصلاحا جذرياً وشاملاً، ليحفظ بهذا الصلاح للمجتمع كيانه وأفراده، ولما كان للاجتماع الإنساني من الضرورة الكبيرة في هذه الحياة، جاء القرآن الكريم بكونه جامعاً لأصول هذا الإصلاح الاجتماعي، منذ أن بدأ يتنزل على قلب الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وبحسب الوقائع والأحداث، فقد تنوعت الروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمع وتعددت، ومتانة هذه الروابط تتجلى بقوة العلاقة بين أبناء المجتمع، وفق علاقات أخوية مبنية على المحبة والود والاحترام، وحفظ حقوق الغير، وقد أولى الدين الإسلامي اهتماما كبيراً بهذه الروابط، والتي من شأنها السمو والرفعة للمجتمع، وعلى كافة الأصعدة وبمختلف مجالات الحياة، فلم يفرق القرآن الكريم بين طبقات المجتمع وما بين أفراده، بل راعى كل الناس بمختلف فئاتهم وأعمارهم، فلم يفرق بين الذكر والأنثى، ولا بين الصغير والكبير، بل نجده يراعي الغاية الأساسية من وجود الخلق، الا وهي عبادة الخالق سبحانه، وإعمار الأرض من خلال رسم الصورة المشرقة، والمتمثلة ببناء المجتمع وحمايته من شتى أساليب الزيغ والانحراف، وقد جاءت دعوة القرآن من خلال جملة من الآيات الصريحة، وفي شتى مجالات الحياة، ووفق قاعدة مفادها قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [١]، لذا جاء اختيارنا لموضوع **(الاصلاح الاجتماعي في القرآن الكريم– دراسة موضوعية–)**، من خلال بعض الآيات ذات الدلالة الاصلاحية للمجتمع، لأن الاصلاح قضية مرتبطة بالعقيدة والإيمان بأوثق رباط وأمتن صلة، ولأن الإصلاح سبباً لحفظ المجتمع وحمايته من الهلاك، وعوناً لتحقيق الأمن والاستقرار له، وقد جاء البحث مكونا من تمهيد وثمانية مطالب غير هذه المقدمة، أما المطلب الأول: إفشاء التحية سبباً للمودة وتوثيقاً للعلاقة بين الأفراد في المجتمع

المطلب الثاني: الأُلفة بين الناس والتعارف الاجتماعي ميزانها تقوى الله تعالى

المطلب الثالث: في كون الأخوّة مدعاة لرقي النفوس وإصلاحها

المطلب الرابع: المحبة والإيثار سبباً للإصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة

المطلب الخامس: الرابطة الزوجية وأثرها في توطيد العلاقة الأسرية في المجتمع

المطلب السادس: في كون العدل أساس لصلاح الفرد والمجتمع

المطلب السابع: الاحسان الى المحتاجين ومواساتهم وكونه وسيلة للتكافل الاجتماعي

المطلب الثامن: وجوب الوفاء بالعهد وكونه الضمان الحقيقي للتعامل بين الناس

ثمَّ جاءت الخاتمة لتبين أهم النتائج التي تم التوصل اليها من خلال هذا البحث، معتمدا بذلك على جملة من المصادر والمراجع، سائلين المولى القدير التوفيق والسداد، ولا ندعي فيما كتبنا الكمال، ولكن حسبنا أننا بذلنا جُهداً، فإن أصبنا فمن الله تعالى، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباحثان

التمهيد

تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا

أولاً/ الإصلاح لغة:

(صلُحَ): الصاد، واللام، والحاء، أصل واحد يدل على خلاف الفساد، والاسم الصلح يذكر ويؤنث، وصلُحَ بالضم والصلاح بكسر الصاد مصدر المصالحة، وأصلَح أتى بالصلاح وهو الخير(٢).

وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه، ورجلٌ صالحٌ في نفسه مُصلح في أعماله وأموره، وقد أصلحه الله تعالى في ذريته وماله(٣). والصلاح والفساد مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(٥) .والإصلاح والإفساد مفردتان متلازمتان لا ينفكان عن بعضهما، ويصعب فهم تعريف أحداهما دون فهم وتعريف الأخرى، فمن الناحية اللغوية يصُعب الاستدلال على معنى الفساد دون اعتباره حاله تتنافى مع مبدأ الصلاح والإصلاح(٦).

ثانياً/ الإصلاح اصطلاحاً:

للعلماء في تعريف الاصلاح أقوال متعددة، ويرجع السبب في ذلك إلى تعدد استخدام الإصلاح في مجالات مختلفة، ومن بين هذه التعريفات: هو عقد ينهي الخصومة بين المتخاصمين، ويقطع المنازعة، وفيه إخفاء للعداوة والشحناء(٧). أو هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع(٨). وقيل أن المراد من الإصلاح بين الناس التأليف بينهم بالمودة إذا تفاسدوا من غير أن يجاوز في ذلك حدُ الشرع(٩). وقيل: جعل الشيء صالحا أي ذا صلاح، وهو كون شيء بحيث يحصل به منتهى ما يطلب لأجله، فصلاح الرجل صدور الأفعال والأقوال الحسنة منه، وصلاح الثمرة كونها بحيث ينتفع بأكلها دون ضر، وصلاح المال نماؤه المقصود منه، وصلاح الحال كونه بحيث تترتب عليه الآثار الحسنة(١٠).

المطلب الأول

إفشاء التحية سبباً للمودة وتوثيقاً للعلاقة بين الأفراد في المجتمع

إن التحيّة التي يتبادلها الناس فيما بينهم، هي مفتاح يفتح مغالق القلوب فيهم، وأشعة دافئة تذيب الثلج وتدفع الضباب الذي بينهم، ولهذا كانت عرفاً ملتزما في مختلف الأمم والشعوب،

على مدى الأزمان، وهي في الإسلام خير يتهاداه الناس، وبرّ يلقى به بعضهم بعضا، من قبض يده عن بذله، أو كفّها عن أخذه، فقد فاته حظه من هذا الخير، وحرم نصيبه من هذا البر، وقد أخذ الإسلام المسلمين بهذا الأدب الإنساني، وجعله شعيرة من شعائر الإسلام، وأوجب على من بدأه أحد بتحية أن يتقبلها بقبول حسن، وأن يردّها بتحية مثلها أو خير منها، إذ كان الذي بدأ بالتحية قد بدأ بفضل وإحسان، ورد التحية بمثلها قضاء لقرض حسن، فلا حمد لمن أدّى ما اقترض، والحق يقتضيه أن يشكر لمقرضه ويثنى عليه، ومن حق البادئ بالتحية أن يردّ عليه بأحسن مما بدأ به، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ (١١)، ومقابلة الإحسان بالإحسان ليست جزاء له، وإنما هي وفاء له، والجزاء يكون بمقابلة الإحسان بما هو أحسن من هذا لإحسان(١٢). قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴾ (١٣)، يعني: إذا ربيتم حياتكم بالتحية التي هي السلام، والتي تضمن الأمن والاطمئنان عليكم رد التحية، فكلمة « تحية» إعطاء لقيمة الحياة، وكذلك كلمة « حيوا»، أي أعط من أمامك شيئاً من الحياة المستقرة الآمنة المطمئنة، فالحياة بدون أمن وبدون اطمئنان ليست حياة(١٤).

فتحية الإسلام كلمة (السّلام)، وهي مشتقة من الإسلام، والتي لا يلقى بها الناس جهدا، ولا ينفقون في سبيلها مالا، إلّا أن كثيرا من الناس يضنّون بها، ويمسكون ألسنتهم عنها، ولا يعدّونها معاملة كريمة يتعاملون مع الناس بها أخذا أو إعطاء!! وذلك لا يكون إلا عن نفس مريضة، وطبع لئيم، إذ أنه ليس في باب الإحسان مثل التحيّة في خفّة محملها وقلة مئونتها، مع كثرة محصولها وطيب ثمرها، وليس في الناس أخسر صفقة، وأنكد حظّا ممن لا يحصّل هذا الخير الكثير، الذي يجيء إليه صفوا عفوا من غير ثمن!! فالتحية هي الدعوة الكريمة التي دعا الله المسلمين إليها، وهى تبادل الإحسان والمعروف بينهم ولو بالكلمة الطيبة وهي التحية(١٥). فالآية تعليم من الله لأدب اللقاء والمقابلة حتى تزيد المودة والمحبة بينهم، وكان من عادة العرب إذا لقى بعضهم بعضا أن يقولوا على سبيل المودة: حياك الله، فلما جاء الإسلام أبدل ذلك بالسلام والأمان، بأن يقول المسلم لأخيه المسلم: السلام عليكم وأضيف إليها الدعاء برحمة الله وبركاته(١٦). وهي بحدّ ذاتها فصل تام المعنى، تحتوي تلقينا تأديبيا رفيعا للمسلمين في كل ظرف بوجوب مقابلة التحية بأحسن منها أو بمثلها على الأقل، وروحها تلهم أن التلقين التأديبي شامل للتحية أو الكلمة الطيبة، أو الدعوة الطيبة أو العمل الطيب على السواء، وتوجب على المسلم

حسن المقابلة على أي قول وعمل فيه خير وأدب وعطف وبرّ ونفع، وإطلاق الجملة القرآنية وصيغة المجهول في جملة: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم ﴾ تسوغان القول إن الأمر فيها عام يشمل كل فئة من الناس، بقطع النظر عن الجنس والدين والعمر(١٧). وذكر سبحانه وتعالى التحية، ولم يذكر ما تلك التحية، واسم التحية يقع على أشياء من نحو ما جعل الصلاة لتحية المسجد، والطواف تحية البيت، وغير ذلك مما يكثر عددها، لكن أهل التأويل أجمعوا على صرف هذه التحية إلى السلام دون غيرها من التحية التي ذكرنا؛ ألا ترى إلى قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ ؟! ولو كان غيرها أراد لم يقل: ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾، لأن غيرها من التحية لا يرد؛ إذ في الرد ترك القبول ولم يؤمر بذلك، فدل أنه أراد بالتحية السلام، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (١٨)، فجعل تحية الملائكة للمؤمنين السلام، كقوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ (١٩)، وجعل تحية أهل الجنة السلام، كقوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾(٢٠)، وكقوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾(٢١)، وتحية الملائكة بعضهم على بعض بالسلام، ألا ترى قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾، فعلى ذلك يمكن أن يكون المراد من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾: السلام، وجعل اللّه سبحانه السلام علماً وشعارًا فيما بين المسلمين، وأماناً يؤمن بعضهم بعضًا من شره، ألا ترى أن أهل الريبة لا يسلِّمون ولا يردون السلام، وإن كانوا لا يعرفون تفسيره ولا معناه؟! ولكن على الطبع جعل ذلك لهم(٢٢).

والإنسان حين يُصعّد التحية بعد قوله: السلام عليكم بإضافة ورحمة الله وبركاته، فهو يربط النفس البشرية برباط إيماني بالحق سبحانه وتعالى، وبذلك تتذكر وتعي أن الخلق عيال الله تعالى، وسبحانه يحب أن يكون خلقه منسجمين بالعلاقات الطيبة فيما بينهم، وعندما يكون الخلق على علاقة طيبة بعضهم مع بعض، فسيعطيهم من خيره أكثر وأكثر، وهذا دأب القرآن في انتهاز فرص الإرشاد والتأديب(٢٣). وجاء في نهاية آية التحية بيان جزائها فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾، وذلك لقصد الامتنان بهذه التعليمات النافعة، ووعدا بالجزاء على قدر فضل رد السلام، أو بالجزاء السيء على ترك الرد من أصله، فإنه سبحانه كان وما زال مهيمنا على عباده، بصيرا بكل أقوالهم وأعمالهم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وسيحاسب الناس يوم القيامة على أفعالهم، وسيجازيهم عليها بما يستحقون، وقد أكد وصف الله بحسيب بمؤكدين: حرف ﴿إِنَّ﴾ وفعل ﴿كَانَ﴾ الدال على أن ذلك وصف مقرر أزلي(٢٤).

والخلاصة: فهذه الآية من آداب الإسلام، علَّم الله بها أن يردوا على المسلم بأحسن من سلامه أو بما يماثله، ليبطل ما كان بين الجاهلية من تفاوت السادة والدهماء، وتكون التحية أحسن بزيادة المعنى، فإذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم، أوردوا عليه بمثل ما سلم، فالزيادة مندوبة والمماثلة مفروضة، فالتحية نوع من الشفاعة الحسنة لأنها تقرب الناس بعضهم من بعض، وتنشر المحبة وتقوي أواصر المودة، وتقتلع الأحقاد وسوء التفاهم، وتمنع التحية شرا كبيرا أو تآمرا عظيما إذا توافرت النيات الحسنة، واستنارت القلوب بنور الإيمان الحق بالله ورسله وكتبه[٢٥].

المطلب الثاني

الأُلفة بين الناس والتعارف الاجتماعي ميزانها تقوى الله تعالى

حوى القرآن الكريم في ثنايا آياته خطابا للذين آمنوا، ليرتلوها ويأخذوا أنفسهم بها، وليس هذا فحسب، بل إن عليهم أن يراعوا هذه الأحكام وتلك الآداب مع غير المؤمنين، مع الناس جميعا من كل أمة ومن كل دين، لأنها أخلاق إنسانية يجب أن تكون طبعا وجبلّة في المؤمن، يعيش بها في الحياة كلها، ومع الناس جميعا، فلا تكون ثوابا بلبسه مع المؤمنين، حتى إذا كان مع غير المؤمنين نزعه، فإنه بهذا إنما ينزع كمالا خلعه الله عليه، ويتعرّى من جلال كساه الله إياه، ولهذا جاء الخطاب هنا للناس جميعا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[٢٦] فهذه الآية استكمال للأدب الذي تحكم به الروابط التي ينبغي أن تقوم بين أفراد المجتمع الإسلامي، والمستمع لهذا الخطاب والعامل به هم المؤمنون[٢٧]. وإنما نودوا بعنوان الناس دون المؤمنين، رعياً للمناسبة بين هذا العنوان، وبين ما صدر به الغرض من التذكير بأن أصلهم واحد، أي أنهم في الخلقة سواء ليتوصل بذلك إلى أن التفاضل والتفاخر إنما يكون بالفضائل، وإلى أن التفاضل في الإسلام بزيادة التقوى ، فلذلك قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾[٢٨]. والذي يناديهم هذا النداء هو الذي خلقكم من ذكر وأنثى، وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات، وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني

من حساب في ميزان الله تعالى، إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس[٢٩].

فجاءت هذه الآية لتخاطب الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأنسابهم وأحسابهم وأديانهم ونحلهم، خطابا مطلقا يمتد ما دامت الحياة الدنيا، لأن الموضوع الخطير الذي تقرره هو الذي يتناسب مع هذا الخطاب أكثر، وفيها شيء من معنى التنديد اللاذع بما اعتاده الناس من التفاخر بالأحساب والأنساب والثروات وما يماثلها من الأعراض[٣٠]. ثم أعقب هذا الخطاب، تقرير هذه الحقيقة التي ينبغي أن يعيها المؤمنون: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ ، فأنتم أيها الناس مؤمنين وغير مؤمنين إخوة في الإنسانية، إذ كنتم من طينة واحدة، وأنه إذا كان للمؤمنين منزلة عند الله، وفضل على غير المؤمنين، فذلك رزق من رزق الله سبحانه، وإن من الخير للمؤمنين أن ينفقوا من هذا الخير على الإنسانية كلها، وأن يكونوا الوجه الكريم الطيب الرحيم فيها، و (الجعل) هو إضافة جديدة تدخل على أصل الشيء، فهو من متعلقات الموجودات، وليس له هو وجود ذاتي، فتوزّع الناس إلى شعوب وقبائل، ليس أمرا ذاتيا، تتغير به حقيقة الإنسانية في الناس، إنهم مهما اختلفوا شعوبا وأوطانا، فإنهم إخوة قرابة ونسبا، وقوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ تعليل لهذا التقسيم الذي وقع في محيط الناس، فكانوا شعوبا وقبائل، وذلك ليتعارفوا، وليكون لهم في مجتمع الشعب أو القبيلة تماسك وترابط، لأنهم في هذا المحيط الضيق نسبيّا أقدر على أن يتعارفوا ويتآخوا، الأمر الذي لا يقع – إن وقع – إلا باهتا، لا يكاد يحسّ لو أن الإنسان كان فردا في الإنسانية كلها، فلما جعل الله سبحانه وتعالى لنا من أنفسنا أزواجا نسكن إليها، وأولادا تقرّ بهم أعيننا، وتصبّ فيهم روافد عواطفنا، جعل الله لنا المجتمعات التي ننتمي إليها، والأمم التي نرتبط بالحياة معها، وكما أن الأسرة لا تعزلنا عن أمتنا، ولا تقطعنا عن مجتمعنا، كذلك ينبغي ألا تعزلنا أمتنا عن الأمم، ولا يقطعنا مجتمعنا عن المجتمعات الأخرى، فالاختلاف الواقع بين الناس، وتمايزهم شعوبا وأمما هو في الواقع سبب تعارفهم، وداعية إلى قيام هذه الوحدات الحية في كيان المجتمع الإنساني، الممثلة في الشعوب والأمم[٣١]. فقوله تعالى: ﴿شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ من حيث تقديم الأولى على الثانية، على ما تلهمه روح الآية أن (الشعب) هو الأصل البعيد الجامع وأنه سمّي بذلك لأنه يتشعب إلى فروع، وأن (القبيلة) هي الأصل القريب المتفرع عن الشعب التي يتجمع فيها أفراد الفرع المنحدرين من أب أقرب[٣٢]. واقتصر على ذكر الشعوب والقبائل لأن ما تحتها داخل بطريق لحن الخطاب[٣٣]. والمعنى: خلقناكم أيها الناس من ذكر

وأنثى، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي: ليعرف بعضكم نسب بعض، فينتسب كل فرد إلى آبائه، ولتتواصلوا فيما بينكم وتتعاونوا على البر والتقوى، لا ليتفاخر بعضكم على بعض بحسبه أو نسبه أو جاهه(٣٤).

وجملة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، مستأنفة استئنافا ابتدائياً، وإنما أخرت في النظم عن جملة: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، لتكون تلك الجملة السابقة كالتوطئة لهذه، وتتنزل منها منزلة المقدمة، لأنهم لما تساووا في أصل الخلقة من أب واحد وأم واحدة كان الشأن أن لا يفضل بعضهم بعضا إلا بالكمال النفساني، وهو الكمال الذي يرضاه الله تعالى لهم، والذي جعل التقوى وسيلته، ولذلك ناط التفاضل في الكرم بـ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾، إذ لا اعتداد بكرم لا يعبأ الله تعالى به(٣٥). فهي استكمال لوجه القضية التي عرضها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾، فقد كان من داعية هذا الانقسام بين الجماعات الإنسانية، وانحياز كل جماعة منها إلى موطن خاص بها، ولسان تتخاطب به، ودين تدين به، وحياة اجتماعية وسياسية تعيش فيها، أن تمايزت الجماعات، وتفاوتت حظوظها في الحياة، وكان من هذا تعالي بعض الشعوب على بعض، وتفاخرها بما جمعت بين يديها من أسباب القوة والسلطان، فجاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ ليصحح هذه المفاهيم الخاطئة، التي دخلت على الناس من مظاهر التفاوت المادي والعقلي بين جماعاتهم، وليقيم المفهوم الصحيح الذي هو ميزان التفاضل بين الناس، إن كان ثمّة تفاضل، وهو التقوى، فمن كان لله أتقى، كان عند الله تعالى وينبغي أن يكون كذلك عند الناس أفضل وأكرم، ففي مجال التقوى ينبغي أن يتنافس المنافسون، وعلى ميزان التقوى يجب أن تقوم منازلهم، وتتحدد مراتبهم(٣٦). وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان، وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون، ألوهية الله تعالى للجميع، وخلقهم من أصل واحد، كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته، لواء التقوى في ظل الله تعالى(٣٧).

وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ كناية عن الأمر بتزكية نواياهم في معاملاتهم وما يريدون من التقوى بأن الله يعلم ما في نفوسهم ويحاسبهم عليه، وفيه إشارة إلى أن التقوى ومحلها القلوب أمر قد

يخفى على الناس، فلا يعرفون من التقيّ، ولا مقداره من التقوى، وإذ كان ذلك شأن الناس، فإن الله سبحانه وتعالى:﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ يعلم ما تخفي الضمائر، وما تسرّ الصدور، وفي هذا إشارة أيضا إلى أن السخرية بالناس ولمزهم وعيبهم، وسوء الظن بهم قد يكون عن تقدير خاطئ وحساب مغلوط، قائم على حكم الظاهر، على حين تكون القلوب عامرة بالتقوى مزهرة بالخير(٣٨). فعبارة الآية واضحة، وفيها هتاف للناس جميعا بأن الله قد خلقهم متساوين من ذكر وأنثى، وأن تفرقهم إلى شعوب وقبائل للتعارف وليس للتفاضل، وأن أكرمهم عند الله هو أتقاهم بالإقبال على صالح العمل واجتناب الآثام. وأن الله عليم خبير بأعمالهم وشؤونهم لا تخفى عليه منهم خافية، على أن الآية بما هتفت به بالناس، واستهدفته من تذكيرهم بمساواتهم لبعض في الأصل والطبيعة وحقوق الحياة، ومن تقرير كون التفاضل بينهم إنما يكون في العمل الصالح وتقوى الله، وكون الأكرم عند الله إنما هو الأتقى، هي جملة تامة لذاتها تقرر وجهة نظر الشريعة الإسلامية التي يمثلها القرآن في الدرجة الأولى، في مساواة الناس في الحقوق والواجبات العامة مساواة تامة، وفي هدم درجات التفاوت والطبقات في الإسلام ونسف امتيازاتها القائمة على الأنساب والأحساب والثروات، وما يماثلها من الأعراض، وفي جعل التفاضل منوطا بالسلوك الشخصي، الذي عبر عنه بتعبير ﴿أَتْقَىٰكُمْ﴾ والذي يدخل في نطاقه مراقبة الله في السرّ والعلن، وابتغاء رضائه في الائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه، وقد أمر بكل ما فيه الحقّ والعدل والبرّ والتقوى، وأداء الواجبات نحو الله تعالى والناس، ونهي عن كلّ ما فيه إثم وبغي ومنكر، وتقصير نحو الله تعالى والناس، وهي من أجل ذلك يصح أن تعتبر من روائع جوامع الكلم القرآنية، وأقواها وأبعدها مدى وأثرا في الحياة الاجتماعية والسياسية والشخصية والإسلامية(٣٩).

المطلب الثالث

في كون الأخوّة مدعاة لرقي النفوس وإصلاحها

يبيّن الله تعالى أن الإيمان الذي أقل مرتبته التوحيد والعمل، يقتضي الأخوة الحقيقية بين المؤمنين، للمناسبة الأصلية والقرابة الفطرية، التي تزيد على القرابة الصورية والنسبة الولادية بما لا يقاس، لإفضائه المحبة القلبية، لا المحبة النفسانية المسببة عن التناسب في اللحمة، فلا أقل من الإصلاح الذي هو من لوازم العدالة وأحد خصالها، إذ لو لم يعدوا عن الفطرة، ولم يتكدروا بغواشي النشأة، لم يتقاتلوا ولم يتخالفوا، فوجب على أهل الصفاء بمقتضى الرحمة والرأفة

والشفقة اللازمة للأخوة الحقيقية، الإصلاح بينهما وإعادتهما إلى الصفاء[٤٠]. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [٤١]. ففي هذه الآية استكمال للأدب الذي تحكم به الروابط التي ينبغي أن تقوم بين أفراد المجتمع الإسلامي، وفيها دستور من الأخلاق والأدب والسياسة، فيما بين المسلمين أنفسهم[٤٢]. فقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ من حيث إنهم منتسبون إلى أصل واحد وهو الإِيمان الموجب للحياة الأبدية، وهو تعليل وتقرير للأمر بالإِصلاح، وللإيذان بأن الآخرة الدينيةَ موجبةٌ للإصلاح، ولذلك كرره مرتباً عليه بالفاء فقال: ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾، ووضع الظاهر موضع الضمير مضافاً إلى المأمورين للمبالغة في التقرير والتخصيص، وخص الإثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق وإن من لوازم الإخوة أن يصطلحوا[٤٣]. فهي تعقيب تدعيمي قوي، فالمؤمنون إخوة ويجب أن يكون السلم والصلح موطدين بينهم، فإذا ما شجر بين بعضهم خلاف ونزاع فيجب على الآخرين المسارعة إلى الإصلاح بين المتنازعين مع مراقبة الله وتقواه حتى ينالوا رحمته، ثم هو إلفات إلى أن الأخوّة القائمة بين المؤمنين لا تتغير صفتها، ولا تنقطع آثارها بتلك العوارض التي تعرض لهم في حياتهم، فإنما هي موجات من ريح عابرة، لا تلبث أن تفتر، ثم يعود إلى البحر سكونه وصفاؤه وجلاله، ومن جهة أخرى فإن الفئة الباغية، لا يزال لها مكانها في المؤمنين، ولا تزال لها أخوّتها فيهم، وإذن فلا يجار عليهم لأنهم جاروا، ولا يعتدى عليهم، لأنهم اعتدوا، وإنما يقبل منهم قبولهم لما قضى به المؤمنون عليهم، ثم إن لهم بعد هذا حقهم كاملا لا ينقص منه شيء، فالمعتدون والمعتدى عليهم إخوان للمؤمنين جميعا، وهي تعليل لإقامة الإصلاح بين المؤمنين إذا استشرى الحال بينهم، فالجملة موقعها موقع العلة، وقد بني هذا التعليل على اعتبار حال المسلمين بعضهم مع بعض كحال الإخوة، وجيء بصيغة القصر المفيدة لحصر حالهم في حال الإخوة مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين فهو قصر ادعائي أو هو قصر إضافي للرد على أصحاب الحالة المفروضة الذين يبغون على غيرهم من المؤمنين، وأخبر عنهم بأنهم إخوة مجازا على وجه التشبيه البليغ، زيادة لتقرير معنى الأخوة بينهم، حتى لا يحق أن يقرن بحرف التشبيه المشعر بضعف صفتهم عن حقيقة الأخوة، وفي هذه الآية دلالة قوية على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين، فالله تعالى قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ تأكيدا للأمر وإشارة إلى أن ما بينهم ما بين الأخوة من النسب والإسلام كالأب، وعند إصلاح الفريقين والطائفتين لم يقل اتقوا، وقال

هاهنا اتقوا مع أن ذلك أهم؟ والفائدة هو أن الاقتتال بين طائفتين يفضي إلى أن تعم المفسدة ويلحق كل مؤمن منها شيء، وكل يسعى في الإصلاح لأمر نفسه، فلم يؤكد بالأمر بالتقوى، وأما عند تخاصم رجلين لا يخاف الناس ذلك، وربما يزيد بعضهم تأكد الخصام بين الخصوم لغرض فاسد، فقال: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، أو نقول قوله: ﴿فَأَصۡلِحُواْ﴾ إشارة إلى الصلح، وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ إشارة إلى ما يصونهم عن التشاجر، لأن من اتقى الله شغله تقواه عن الاشتغال بغيره، فالمخاطب بذلك جميع المؤمنين، فيشمل الطائفتين الباغية والمبغي عليها، ويشمل غيرهما ممن أمروا بالإصلاح بينما ومقاتلة الباغية، فتقوى كل بالوقوف عند ما أمر الله به كلا مما يخصه، وهذا يشبه التذييل، ومعنى ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ ترجى لكم الرحمة من الله تعالى، فتجري أحوالكم على استقامة وصلاح، وإنما اختيرت الرحمة لأن الأمر بالتقوى واقع إثر تقرير حقيقة الأخوة بين المؤمنين وشأن تعامل الإخوة الرحمة فيكون الجزاء عليها من جنسها(٤٤). فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، فهم يجمعهم أصل واحد وهو الإيمان، كما يجمع الإخوة أصل واحد وهو النسب، وكما ان أخوة النسب داعية إلى التواصل والتراحم والتناصر في جلب الخير، ودفع الشر، فكذلك الأخوة في الدين تدعوكم إلى التعاطف والتصالح، وإلى تقوى الله وخشيته، ومتى تصالحتم واتقيتم الله تعالى كنتم أهلا لرحمته ومثوبته(٤٥).

المطلب الرابع

المحبة والإيثار سبباً للإصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة

يذكر القرآن الكريم صورة مضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى آفاق، لولا أنها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أحلاما طائرة ورؤى مجنحة ومُثُلاً عليا قد صاغها خيال محلق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (٤٦).

فـ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، أي دار الهجرة، يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد تبوأها الأنصار قبل المهاجرين، كما تبوأوا فيها الإيمان، وكأنه منزل لهم ودار، وهو تعبير ذو ظلال، وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان، فلقد كان دارهم ونزلهم ووطنهم الذي تعيش فيه قلوبهم، وتسكن إليه أرواحهم، ويثوبون إليه ويطمئنون له، كما يثوب

المرء ويطمئن إلى الدار، والتعريف في الدار للتنويه كأنها الدار التي تستحق أن تسمى دارا وهي التي أعدها الله تعالى لهم ليكون تبوؤهم إياها مدحا لهم، ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾، ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم، وبهذا البذل السخي، وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة، لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين! (٤٧). وإنما عبر عن هذه الكثرة بما يفيد العموم في قوله تعالى: ﴿ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، تنويها بفضل الأنصار، وتغليبا لكثرة المؤمنين منهم على كثرة من آمن من أهل مكة قبل الهجرة(٤٨). ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾، أي ولا يجد الأنصار مما يناله المهاجرون من مقام مفضل في بعض المواضع، في صدورهم شيئا من الضيق، أو الألم، أو الغيرة، أو الحزازة، أو الحسد، أو الغيظ، لما أخذ المهاجرون من غنائم بنى النضير، فقد جعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما أفاءه الله عليه من تلك الغنائم، جعلها في فقراء المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئا، إلا ثلاثة نفر منهم كانوا على حال ظاهرة من الفقر، وبهذا العطاء الذي ناله المهاجرون خفّ العبء عن الأنصار الذين كانوا يقاسمون إخوانهم المهاجرين ديارهم وأموالهم، مما يلقي ظلال النظافة الكاملة لصدورهم والبراءة المطلقة لقلوبهم، فلا تجد شيئا أصلا(٤٩). وفي ذكر الدار وهي (المدينة) مع ذكر الإيمان إيماء إلى فضيلة المدينة، بحيث جعل تبوءهم المدينة قرين الثناء عليهم بالإيمان، ولعل هذا هو الذي عناه مالك رحمه الله فيما رواه عنه ابن وهب قال: سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق، فقال: إن المدينة تبوئت بالإيمان والهجرة وإن غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرأ هذه الآية، وجملة : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ حال من الذين تبوؤوا الدار، وهذا ثناء عليهم بما تقرر في نفوسهم من أخوة الإسلام إذ أحبوا المهاجرين، وشأن القبائل أن يتحرجوا من الذين يهاجرون إلى ديارهم لمضايقتهم(٥٠). وقوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾، الإيثار: هو تقديم حاجة الغير على حاجة النفس، سخاء وتفضلا، وهذا لا يكون إلا من نفوس مهيأة للتضحية، فالإيثار على النفس مع الحاجة قمة عليا، وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيرا، وكانوا كذلك في كل مرة وفي كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديما وحديثا، والإيثار ضد الأثرة، وهى حب النفس حبّا يعميها عن كل

شيء، فلا يرى المرء إلا ذاته، ولا يعمل إلا من خلال هذه الذات، وما يحقق لها من نفع ذاتي لا يشاركها فيه أحد[٥١]. والخصاصة: شدة الاحتياج، والفقر الذي يعجز الإنسان عن إدراك الضروري من مطالب الحياة، أي أن هؤلاء الأنصار، من طبيعتهم السماحة والبذل، وإيثار إخوانهم المهاجرين على أنفسهم، والنزول لهم عن الطيب الأكثر مما في أيديهم، مع حاجتهم إليه، وهذا هو الفضل على تمامه وكماله، حيث يجيء عن حاجة، ولا يجيء عن غنّى وسعة، وإذن فهم لا يجدون في صدورهم حاجة من الحسد لما أصاب إخوانهم من خير، بل إنهم ليجدون في هذا سعادة ورضى لهم، فإن النفوس الطيبة الكريمة ليسعدها أن تجد الخير يغمر الحياة ويعمر البيوت، ويشيع في الناس الغبطة والرضا، أما النفوس اللئيمة الخبيثة، فإنه يزعجها ويسوءها أن ترى خيرا يصيب أي أحد من الناس، ولو كان من أقرب المقربين إليها[٥٢]. وتذكير فعل كان لأجل كون تأنيث الخصاصة ليس حقيقيا، ولأنه فصل بين كان واسمها بالمجرور. والباء للملابسة[٥٣]. وجملة: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ تذييل، والواو اعتراضية، فإن التذييل من قبيل الاعتراض في آخر الكلام على الرأي الصحيح، وتذييل الكلام بذكر فضل من يوقون شح أنفسهم بعد قوله: ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾، والشح بضم الشين وكسرها: غريزة في النفس بمنع ما هو لها، وهو قريب من معنى البخل، فالشح في كلام العرب البخل مع الحرص، وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع، والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع، فيشير إلى أن إيثارهم على أنفسهم حتى في حالة الخصاصة، فشح النفس هو المعوق عن كل خير، لأن الخير بذل في صورة من الصور، بذل في المال، وبذل في العاطفة، وبذل في الجهد، وبذل في الحياة عند الاقتضاء، وما يمكن أن يصنع الخير شحيح يهم دائما أن يأخذ ولا يهم مرة أن يعطي، ومن يوق شح نفسه، فقد وقي هذا المعوّق عن الخير، وأضيف في هذه الآية إلى النفس لذلك فهو غريزة لا تسلم منها نفس، ولكن النفوس تتفاوت في هذا المقدار، فإذا غلب عليها بمنع المعروف والخير فذلك مذموم، ويتفاوت ذمه بتفاوت ما يمنعه، فمن وقي شح نفسه، أي وقي من أن يكون الشح المذموم خلقا له، لأنه إذا وقي هذا الخلق سلم من كل مواقع ذمه، فإن وقي من بعضه كان له من الفلاح بمقدار ما وقيه، واسم الإشارة لتعظيم هذا الصنف من الناس، وصيغة القصر المؤداة بضمير الفصل للمبالغة لكثرة الفلاح الذي يترتب على وقاية شح النفس حتى كأن جنس المفلح مقصور على ذلك الموّقى[٥٤]. فهذه هي صفات المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم، وهذا هو جزاؤهم، أما الذين

سكنوا دار الهجرة وهي المدينة المنورة، من قبل المهاجرين، وأخلصوا إيمانهم وعبادتهم لله تعالى، فإن من صفاتهم أنهم يحبون إخوانهم الذين هاجروا إليهم حبا شديدا، فلا تتطلع نفوسهم إلى شيء مما أعطى للمهاجرين من الفيء أو غيره، لأن الإيمان ربط قلوبهم برباط المودة والمحبة[٥٥].

المطلب الخامس

الرابطة الزوجية وأثرها في توطيد العلاقة الأسرية في المجتمع

يقرر القرآن الكريم أهلية المرأة بكل تكليف إيماني واجتماعي وتعبدي ومالي وجهادي وأخلاقي كالرجل بدون أي تمييز، ورتّب عليها كل ما رتّبه على الرجل تتجه لكل عمل تقوم به من ذلك ثوابا وعقابا وحدودا في الدنيا والآخرة بدون أي تمييز، وعيّن لها نصيبا في الإرث وأمر بأدائه لها وأوجب لها أداء مهرها، وقرر لها الحق المطلق في التصرف في كل ما يدخل في يدها من مال، مهما كان عظيما دون أي تدخل أو إشراف أو إذن من الرجل مهما كانت صلته بها، وأوجب عليها كل ما أوجبه على الرجل من التفكير في آلاء الله تعالى والتدبر في كتاب الله والتعلّم والتعليم، فيقرر القرآن ومن خلال قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٥٦] أن الله عزّ وجلّ إنما جعل لكل نفس زوجا منها، ليسهل سكن كل منهما لزوجه في نطاق المودة والرحمة، اللتين شاء الله تعالى أن يجعلهما بين الزوجين، فمن واجب الإنسان ومن باب أولى من واجب المسلم ذكرا كان أم أنثى أن ينظر إلى الرابطة الزوجية على هذا الاعتبار، وأن يبذل جهده في عدم الحيدان عنه، وفي هذا إلى ذلك ما فيه من إعارة القرآن عناية كبرى لهذه الرابطة[٥٧]. وفي هذا عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل، وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزا في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشذاذ، وهي آية تنطوي على عدة آيات منها: أن جعل للإنسان ناموس التناسل، وجعل تناسله بالتزاوج، ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وجعل أزواج الإنسان من صنفه ولم يجعلها من صنف آخر لأن التآنس لا يحصل بصنف مخالف، وجعل في ذلك التزاوج أنسا بين الزوجين ولم يجعله تزاوجا عنيفا أو مهلكا كتزاوج الضفادع، وجعل بين كل زوجين مودة ومحبة فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجاهلين فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وجعل بينهما رحمة فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وجعل بينهما رحمة فهما قبل التزاوج لا عاطفة

بينهما فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة، ولأجل ما ينطوي عليه هذا الدليل ويتبعه من النعم والدلائل جعلت هذه الآية آيات عدة في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وهذه الآية كائنة في خلق جوهر الصنفين من الإنسان: صنف الذكر، وصنف الأنثى، وإبداع نظام الإقبال بينهما في جبلتهما، وذلك من الذاتيات النسبية بين الصنفين، وقد أدمج في الاعتبار بهذه الآية امتنان بنعمة في هذه الآية أشار إليها قوله لكم أي لأجل نفعكم، و﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ متعلق بـ ﴿لَآيَاتٍ﴾ لما فيه من معنى الدلالة، وجعلت الآيات لقوم يتفكرون، لأن التفكر والنظر في تلك الدلائل هو الذي يجلي كنهها ويزيد الناظر بصارة بمنافع أخرى في ضمنها، وهم المؤمنون وأهل الرأي من المشركين الذين يؤمنون بعد نزول هذه الآية، والخطاب في قوله ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم﴾ لجميع نوع الإنسان الذكور والإناث، والزوج: هو الذي به يصير للواحد ثان فيطلق على امرأة الرجل ورجل المرأة فجعل الله لكل فرد زوجه، ومعنى ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من نوعكم، فجميع الأزواج من نوع الناس، والسكون هنا مستعار للتآنس وفرح النفس، لأن في ذلك زوال اضطراب الوحشة والكمد بالسكون الذي هو زوال اضطراب الجسم، والمودة هي المحبة، والرحمة هي صفة تبعث على حسن المعاملة، وإنما جعل في ذلك آيات كثيرة باعتبار اشتمال ذلك الخلق على دقائق كثيرة متولد بعضها عن بعض يظهرها التأمل والتدبر بحيث يتجمع منها آيات كثيرة(٥٨). فالله قد خلقهما من نفس واحدة، وجعل كلا منهما زوجا للآخر لا يكمل الواحد منهما إلّا بالآخر ولا يستطيع الواحد منهما أن يقوم بواجباته المتنوعة إلّا بمساعدة الآخر والتعاون معه وتلك هي حكمة إلهام التقاء الزوجين برابطة الزواج، ولا يمكن أن يتمّ هذا إلّا في نطاق تبادل المودّة والرحمة الذي لا يمكن أن يكون إلّا بالتراضي والتفاهم ، ونتيجة لاعتراف كل منهما بذاتية الآخر وبواجبه وبحقه معا، وكل ما هناك أن الله قد جعل لكل منهما وظيفة جنسية يكون كل منهما بها متمما للآخر، وجعل لكل منهما بسبب ذلك مجالا ينشط فيه لخيرهما ومصلحتهما معا، وهكذا يتوطد الاصلاح الاجتماعي للأسرة في المجتمع من خلال الرجل والمرأة في القابليات والمسئوليات الدنيوية والدينية والأخروية(٥٩).

المطلب السادس

في كون العدل أساس لصلاح الفرد والمجتمع

لما جاء أن هذا القرآن تبيان لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، حسن التخلص إلى تبيان أصول الهدى في التشريع للدين الإسلامي العائدة إلى الأمر والنهي، إذ الشريعة كلها

أمر ونهي، والتقوى منحصرة في الامتثال والاجتناب، فهذه الآية استئناف لبيان كون الكتاب تبيانا لكل شيء، فهي جامعة أصول التشريع، وافتتاح الجملة بحرف التوكيد للاهتمام بشأن ما حوته، وتصديرهما باسم الجلالة للتشريف، وذكر (يأمر وينهى) دون أن يقال: اعدلوا واجتنبوا الفحشاء، للتشويق[٦٠]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[٦١].

وهي من جوامع الكلم القرآنية الرائعة، فيما يجب أن يفعله المؤمن وينتهي عنه تجاه مجتمعه، أفرادا كانوا أو هيئات وتجاه أقاربه، وتضمنت تقريرا بأن الله يأمر بالعدل والإنصاف والمساواة ويأمر بما هو فوق ذلك أيضا وهو الإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن كل ما فيه فحش ومنكر من قول وعمل وعن كل ما فيه بغي على الناس وعدوان وظلم وجور، وانتهت بتوجيه الخطاب إلى السامعين القريبين بأن الله يعظهم بذلك لعلهم يتذكرون ويعلمون ما يجب عليهم ويعملون به[٦٢]. فذكر في هذه الآية الأوامر التي جمعت فضائل الأخلاق والآداب وضروب التكاليف التي رسمها الدين وحث عليها لما فيها من إصلاح حال النفوس، وصلاح حال الأمم والشعوب، ثم ضرب الأمثال لمن يحيد عنها وينفر من فعلها، ثم أبان أن أمر الهداية والإضلال بيده، وأنه قد قدّره بحسب استعداد النفوس للصلاح والغواية، وأنه سيجازى يوم القيامة كل نفس بما كسبت[٦٣]. فالقرآن الكريم جاء لينشيء أمة وينظم مجتمعا، ثم لينشئ عالماً ويقيم نظاماً.. جاء دعوة عالمية إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس إنما العقيدة وحدها هي الآصرة والرابطة والقومية والعصبية، ومن ثم جاء بالمبادئ التي تكفل تماسك الجماعة والجماعات، واطمئنان الأفراد والأمم والشعوب، والثقة بالمعاملات والوعود والعهود[٦٤]. وللحق تبارك وتعالى في هذه الآية ثلاثة أوامر: العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القُربى. وثلاثة نَواهٍ: عن الفحشاء والمنكر والبغي، ولما نزلت هذه الآية قال ابن مسعود رضي الله عنه: "أجمع آية في كتاب الله للخير والشر هذه، فجمع الله عزّ وجلّ الخير كله، والشر كله في آية واحدة، فما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئا إلا جمعه وأمر به، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئا إلا جمعه وزجر عنه"، وهكذا دخلتْ هذه الآيةُ قلوبَ هؤلاء القوم، واستقرتْ في أفئدتهم، لأنها آية جامعة مانعة، دعَتْ لكل خير، ونَهتْ عن كل شر[٦٥]. وقد جاء الأمر بالعدل والإحسان مطلقا، ليحتوي العدل كله، ويشمل الإحسان جميعه، فهو عدل عام شامل، حيث يعدل الإنسان مع نفسه، فلا يجوز عليها بإلقائها في التهلكة، وسوقها في مواقع الإثم والضلال، ويعدل

مع الناس فلا يعتدى على حقوقهم، ولا يمدّ يده إلى ما ليس له، ويعدل مع خالقه، فلا يجحد فضله، ولا يكفر بنعمه، ولا ينكر وجوده وقيّوميته عليه، وعلى كل موجود، كذلك الإحسان، هو إحسان مطلق، يتناول كل قول يقوله الإنسان، وكل عمل يعمله، وإحسان القول أن يقوم على سنن العدل، والحق والخير، وإحسان العمل ينضبط على موازين الكمال والإتقان كما يقول سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٦٦). بل إن الإحسان، هو الإيمان بالله على أتم صورة وأكملها، بحيث لا يبلغ درجة الإحسان، إلا من عبد الله على هذا الوجه(٦٧). فكما أمر سبحانه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، فإنه تعالى ينهى عن كل قبيح وعن كل منكر، وعن كل تجاوز ، وذلك لأن هذه الرذائل ما شاعت في أمة إلا وكانت عاقبتها خسرا، وأمرها فرطا، والفطرة البشرية النقية تأبى الوقوع أو الاقتراب من هذه الرذائل، لأنها تتنافى مع العقول السليمة، ومع الطباع القويمة، ومهما روج الذين لم ينبتوا نباتا حسنا لتلك الرذائل، فإن النفوس الطاهرة، تلفظها بعيدا عنها، كما يلفظ الجسم الأشياء الغريبة التي تصل إليه(٦٨). فجاء ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب، والغنى والفقر، والقوة والضعف، إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع، وإلى جوار العدل ﴿وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ يلطف من حدة العدل الصارم الجازم، ويدع الباب مفتوحاً لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثاراً لود القلوب، وشفاء لغل الصدور، ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحاً أو يكسب فضلاً، والإحسان أوسع مدلولاً، فكل عمل طيب إحسان، والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل، فيشمل محيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه، وعلاقاته بأسرته، وعلاقاته بالجماعة، وعلاقاته بالبشرية جميعاً، ومن الإحسان ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إنما يبرز الأمر به تعظيماً لشأنه وتوكيداً عليه، وما يبني هذا على عصبية الأسرة، إنما يبنيه على مبدأ التكافل الذي يتدرج به الإسلام من المحيط المحلي إلى المحيط العام، وفق نظريته التنظيمية لهذا التكافل(٦٩). فالعدل هو القيام على طريق الحق في كل أمر، فمن أقام وجوده على العدل استقام على طريق مستقيم، فلم ينحرف عنه أبدا، ولم تتفرق به السبل إلى غايات الخير، ومن أتبع العدل بالإحسان، انما الخير في يده، وطابت مغارسه التي يغرسها في منابت العدل(٧٠). فالمتبادر أن العدل في الآية في مقامه وبخاصة والآية مكية لم يقصد به العدل في

القضاء أو لم يقصد به ذلك وحسب بل قصد به العدل المطلق الذي يتناول معاني الإنصاف وعدم الإجحاف وعدم تجاوز الحق قولا وفعلا في كل موقف ومناسبة، حيث يكون هذا من المبادئ المحكمة التي يجب على المسلم أن يلتزم بها في كل حال(٧١).

وخلاصة ما سلف، إن الله يأمر بالعدل، وهو أداء القدر الواجب من الخير، وبالإحسان، وهو الزيادة في الطاعة والتعظيم لأمر الله والشفقة على خلقه، ومن أشرف ذلك صلة الرحم، وينهى عن التغالي في تحصيل اللذات الشهوانية التي يأباها الشرع والعقل، وعن الإفراط في اتباع دواعي الغضب بإيصال الشر إلى الناس وإيذائهم وتوجيه البلاء إليهم، وعن التكبر على الناس والترفع عليهم وتصعير الخدّ لهم(٧٢). فهذه الآية جمعت أصول الشريعة في الأمر بثلاثة، والنهي عن ثلاثة، بل في الأمر بشيئين وتكملة، والنهي عن شيئين وتكملة(٧٣). وبعد أن ذكر الثلاثة التي أمر بها، وعليها يقوم بناء المجتمع الصالح، أتبعها بالثلاثة التي نهى عنها، والتي هي أدوات الهدم في البناء الاجتماعي فقال: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ وهي الغلو في الميل إلى القوة الشهوانية كالزنا وشرب الخمر والسرقة والطمع في مال الناس، ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ وهو ما تنكره العقول من المساوئ الناشئة من الغضب كالضرب والقتل والتطاول على الناس، ﴿وَٱلْبَغْيِ ۚ﴾ وهو ظلم الناس والتعدي على حقوقهم(٧٤). وقوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي ينبهكم سبحانه أكمل تنبيه لما تحمله آيات الله للناس من آداب وأحكام، تدعو إلى الحق، والخير، وتذكّر بهما، وتفتح للعقول الراشدة والقلوب السليمة طريقا إليهما، وهذه الآية تجمع أصول الشريعة الإسلامية كلها، فهي أقرب شيء إلى أن تكون عنوانا للرسالة لإسلامية، ولكتابها الكريم، إذ لا تخرج أحكام الشريعة وآدابها عن هذا المحتوى الذي ضمت عليه تلك الآية: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ)، وما في كتاب لله كله هو شرح لما أمر الله سبحانه به من العدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وما نهى عنه من الفحشاء والمنكر والبغي، فأمركم بثلاث ونهاكم عن ثلاث، كي تتعظوا فتعملوا بما فيه رضاه سبحانه وتعالى، وما فيه صلاحكم في دنياكم وآخرتكم، لعلكم بذلك تحسنون التذكر لما ينفعكم، وتعملون بمقتضى ما علمكم سبحانه(٧٥).

المطلب السابع

الاحسان الى المحتاجين ومواساتهم وكونه وسيلة للتكافل الاجتماعي

يصور قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [٧٦] شعور البر والعطف والخير ممثلا في إطعام الطعام، مع حبه بسبب الحاجة إليه، أي ومن صفات هذه النفوس أنهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فالطعام الذي عليه قوام الحياة وملاكها، لا يؤثرون أنفسهم به، بل يجعلون لمن يعوزهم هذا الطعام نصيبا منه، ولو كانوا هم أنفسهم في أشد الحاجة إليه[٧٧]. وخصص الإطعام بالذكر لما في إطعام المحتاج من إيثاره على النفس كما أفاد قوله : ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾، والتصريح بلفظ ﴿ الطَّعَامَ ﴾ مع أنه معلوم من فعل يطعمون توطئة ليبني عليه الحال وهو ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ فإنه لو قيل: ويطعمون مسكينا ويتيما وأسيرا لفات ما في قوله: ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ من معنى إيثار المحاويج على النفس، على أن ذكر ﴿ الطَّعَامَ ﴾ بعد ﴿ وَيُطْعِمُونَ ﴾ يفيد تأكيدا مع استحضار هيئة الإطعام حتى كأن السامع يشاهد الهيئة[٧٨]. وفى قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ إشارة إلى أن هذا الطعام ليس شيئا رخيصا مبتذلا، كشأنه في أحوال الرخاء، ووفرة حاجات النفوس منه، وإنما هو الطعام في أحوال القحط، والجدب، وفى أزمان المجاعات التي تكون فيها لقمة الطعام أعز ما يملك الناس، وأثمن ما يحرصون عليه من مال ومتاع، حتى إن المرء ليسترخص كل عزيز يملكه، في سبيل شيء منه[٧٩]. و﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ في موضع الحال من ضمير يطعمون، و﴿ عَلَىٰ ﴾ بمعنى (مع) ، وضمير ﴿ حُبِّهِ ﴾ راجع للطعام، أي ويطعمون الطعام وهم في محبة له وشغف به، أي مصاحبا لحبهم إياه وحب الطعام هو اشتهاؤه، فالمعنى: أنهم يطعمون طعاما هم محتاجون إليه[٨٠]. ولهذا استحق هؤلاء المطعمون لهذا الطعام أن يكونوا في الأبرار، لأنهم أنفقوا مما يحبون، ومما تشتد رغبة النفس إليه، وحرصها عليه[٨١]. والمسكين، واليتيم، والأسير، هم أضعف أعضاء الجسد الاجتماعي، وهم الذين يتلقون أول الضربات وأقساها وأفعلها، في أزمان المحل، والجدب، فيكونون أول حطب تشتعل فيه نار المجاعات، فالمسكين قد أضرعه الفقر، وأذلّه الحرمان، حتى في أوقات الرخاء واليسر، وهو في حال القحط والمجاعة أشد ضراعة، وأكثر ذلة وضعفا وحرمانا، واليتيم المراد به اليتيم الفقير قد اجتمع عليه اليتم والفقر معا، فهو فاقد الأب وهو مظنة الحاجة لأن أحوال العرب كانت قائمة على اكتساب الأب للعائلة بكدحه فإذا فقد الأب تعرضت العائلة للخصاصة، فذهب اليتم بالجناح الذي كان يظله، وقصّ

الجناح الذي كان يطير به، على حين ذهب الفقر بكل حبة كانت في عشه، والأسير، سجين في قيد الأسر، إن كان ذا غنى فهو لا سبيل له إلى ما يملك، وإن كان قويّا ذا حول وحيلة، فقد عطّل الأسر كل قواه، وسلبه كل ماله من حول وحيلة، ومثل الأسير كل من انقطعت وسائله المتاحة له، وحيل بينه وبين مصادر رزقه، وعمله، كالمرضى والمساجين، وأبناء السبيل، وذوى العاهات، ونحوهم(٨٢). وأما الأسير فإذ قد كانت السورة كلها مكية قبل عزة المسلمين، فالمراد بالأسير العبد من المسلمين إذ كان المشركون قد أجاعوا عبيدهم الذين أسلموا مثل بلال وعمار وأمه وربما سيبوا بعضهم إذا أضجرهم تعذيبهم وتركوهم بلا نفقة، فالعبودية تنشأ من الأسر فالعبد أسير ولذلك يقال له العاني أيضا(٨٣). وإنما اقتصر على الثلاثة لأنهم من أهم من تجدر الصدقة عليهم(٨٤). فمثل هذه القلوب لا يقال عنها إنها تحب الطعام الذي تطعمه للضعاف المحاويج على اختلاف أنواعهم. إلا أن تكون في حاجة هي إلى هذا الطعام، ولكنها تؤثر به المحاويج، وهذه اللفتة تشي بقسوة البيئة في مكة بين المشركين وأنها كانت لا تقضي بشيء للمحاويج الضعاف وإن كانت تبذل في مجالات المفاخرة الشيء الكثير، فأما الأبرار عباد الله فكانوا واحة ظليلة في هذه الهاجرة الشحيحة. وكانوا يطعمون الطعام بأريحية نفس، ورحمة قلب، وخلوص نية. واتجاه إلى الله بالعمل، يحكيه السياق من حالهم، ومن منطوق قلوبهم، فهي الرحمة الفائضة من القلوب الرقيقة الرفيقة، تتجه إلى الله تطلب رضاه، ولا تبتغي بها جزاء من الخلق ولا شكرا، ولا تقصد بها استعلاء على المحتاجين ولا خيلاء، وقد كان إطعام الطعام هكذا مباشرة هو وسيلة التعبير عن هذه العاطفة النبيلة الكريمة، ووسيلة الإشباع لحاجات المحاويج، ولكن صور الإحسان ووسائله قد تتغير بحسب البيئات والظروف، فلا تظل في هذه الصورة البدائية المباشرة. إلا أن الذي يجب الاحتفاظ به هو حساسية القلوب، وحيوية العاطفة، والرغبة في الخير ابتغاء وجه الله، والتجرد عن البواعث الأرضية من جزاء أو شكر أو نفع من منافع الحياة، فلذلك كان هذا التصوير الكريم لذلك الشعور الكريم في قرآنه(٨٥).

المطلب الثامن

وجوب الوفاء بالعهد وكونه الضمان الحقيقي للتعامل بين الناس

إن الآيات التي وردت في وجوب الوفاء بالعهود كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٨٦)، وخص الله سبحانه الأمر بالوفاء بالعهد بالذكر، مع أنه داخل في المأمورات

التي اشتملت عليها الآيات القرآنية المتناثرة في ثنايا القرآن الكريم، ولأن الوفاء بالعهود من آكد الحقوق وأوجبها على الإنسان[٨٧]. فالوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس، وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع، ولا تقوم إنسانية، والنص يخجل المتعاهدين أن ينقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله كفيلاً عليهم، وأشهدوه عهدهم، وجعلوه كافلاً للوفاء بها، وقد تشدد الإسلام في مسألة الوفاء بالعهود فلم يتسامح فيها أبداً، لأنها قاعدة الثقة التي ينفرط بدونها عقد الجماعة ويتهدم، والنصوص القرآنية هنا لا تقف عند حد الأمر بالوفاء والنهي عن النقض إنما تستطرد لضرب الأمثال، وتقبيح نكث العهد، ونفي الأسباب التي قد يتخذها بعضهم مبررات، وكلها من مبادئ السلوك الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم، والذي فيه بيان الجزاء المقرر لنقض العهد، واتخاذ الأيمان للخداع والتضليل، وهو العذاب العظيم، والبشرى للذين صبروا وتوفيتهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون[٨٨]. فالآية الكريمة خطاب للمؤمنين، وهي أمر ملزم لهم بالوفاء بعهد الله تعالى، الذي وثقوه باسمه، وجعلوه كفيلا وضامنا لما عاهدوا عليه، إذ كان باسمه تعالى على هذا الوعد، وقبل الآخر ما أعطى الأول، مطمئنا إلى كفالة الله، وإلى أن صاحبه لن يخون عهد الله! وإنه لجرم عظيم أن يعطى الإنسان عهدا باسم الله، ويتخذ من هذا الاسم الكريم مدخلا إلى ثقة الناس به، واطمئنانهم إليه، ثم يكون منه غدر وخيانة! إنه عدوان على الله، ومخادعة باسمه، وسرقة تحت ستار من جلال الله وخشيته..! وتلك جرأة على الله، واستخفاف بقدره، وليس لمن يتعرض لهذا، إلا أن ينتظر ما يحلّ به من غضب الله ونقمته، ويدخل في ذلك كل عهد يلتزمه الإنسان باختياره، والوعد من العهد، وقد ينظر البعض إلى الوفاء بالعهد على أنه مُلْزَمٌ به وحده، أو أنه عِبْءٌ عليه دون غيره، لكنه في الحقيقة عليك وعلى غيرك، فكما طلب منك الوفاء طلبه كذلك من الآخرين، فكلّ تكليف لك لا تنظر إليه هذه النظرة، بل تنظر إليه على أنه لصالحك[٨٩]. وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ تأكيد للأمر بالوفاء، وتحذير من الخيانة والغدر، أي ولا تخالفوا ما عاقدتم فيه الأيمان وشدّدتم فيه على أنفسكم، فتحنثوا فيه وتكذبوا وتنقضوه بعد إبرامه، وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه راعيا يرعى الموفي منكم بالعهد والناقض له بالجزاء عليه، والنقض في اللغة: حقيقة في فسخ ما ركب بفعل يعاكس الفعل الذي كان به التركيب، واستعمل هنا على سبيل المجاز في إبطال العهد، والأيمان: جمع يمين، وتطلق بمعنى الحلف والقسم، وأصل ذلك أن العرب كانوا إذا أرادوا توثيق عهودهم بالقسم يقسمونه، ووضع كل واحد من المتعاهدين

يمينه في يمين صاحبه، أي: كونوا أوفياء بعهودكم، ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، أي: بعد توثيقها وتغليظها عن طريق تكرارها بمرة ومرتين، أو عن طريق الإتيان فيها ببعض أسماء الله تعالى وصفاته، و﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ زيادة في التحذير، وليس قيدا للنهي بالبعدية، إذ المقصود أيمان معلومة وهي أيمان العهد والبيعة، وليست فيها بعدية، و﴿بَعْدَ﴾ هنا بمعنى (مع) ، إذ البعدية والمعية أثرهما واحد هنا، وهو حصول توثيق الأيمان وتوكيدها، وللإشعار بأن نقض الأيمان وإن كان قبيحا في كل حالة، فهو في حالة توكيد الأيمان وتغليظها أشد قبحا، ولذا قال بعض العلماء: وهذا القيد لموافقة الواقع، حيث كانوا يؤكدون أيمانهم في المعاهدة، وحينئذ فلا مفهوم له، فلا يختص النهى عن النقض بحالة التوكيد، بل نقض اليمين منهى عنه مطلقا، أو يراد بالتوكيد القصد، ويكون احترازا عن لغو اليمين، وهي الصادرة عن غير قصد للحلف، والخلاصة، أن الآية الكريمة تنهى المؤمن عن نقض الأيمان نهيا عاما، وجملة: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾، مؤكدة لمضمون ما قبلها من وجوب الوفاء بالعهود والنهى عن نقضها، والحال أنكم قد جعلتم الله تعالى ضامنا لكم فيما التزمتم به من عهود، وشاهدا ورقيبا على أقوالكم وأعمالكم، فالآية الكريمة تحذر المتعاهدين من النقض بعد أن جعلوا الله تعالى كفيلا عليهم(٩٠).

ثم وعد وأوعد فختم سبحانه الآية الكريمة بهذا التهديد الخفي فقال:﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾، وهي جملة معترضة، فهي خبر مراد منه التحذير من التساهل في التمسك بالإيمان والإسلام لتذكيرهم أن الله يطلع على ما يفعلونه، فالتوكيد ب إن للاهتمام بالخبر، وكذلك التأكيد ببناء الجملة بالمسند الفعلي دون أن يقال: إن الله عليم، ولا: قد يعلم الله، واختير الفعل المضارع في ﴿يَعْلَمُ﴾ وفي ﴿مَا تَفْعَلُونَ﴾ لدلالته على التجدد، أي كلما فعلوا فعلا فالله يعلمه، والمقصود من هذه الجمل كلها تأكيد الوصاية بحفظ عهد الإيمان، في العهود التي تعاهدون الله الوفاء بها، والأيمان التي تؤكدونها على أنفسكم، أتبرّون فيها أم تنقضونها؟ وهو محص ذلك كله عليكم وسائلكم عنه وعما عملتم فيه، فاحذروا أن تلقوه وقد خالفتم أمره ونهيه(٩١). ومن التلاعب باسم الحق جل وعلا، فهو سبحانه يعلم من يفي بعهده، ويعرف لاسمه الكريم جلاله، ومن لا يوقّر الله، ولا يحفل بالعهد الذي قطعه، وأشهد الله عليه، والله سبحانه غيور على حماه أن يستباح، فمن استباحه فقد أورد نفسه موارد الهالكين(٩٢).

والخلاصة: أن الآية الكريمة تحقر في كل جزئية من جزئياتها، حال من ينقض العهد وتدعو إلى وجوب الوفاء بالعهود في جميع الأحوال، وتنهى عن اللجوء إلى الذرائع الباطلة، من أجل نقض العهود، إذ الإسلام لا يقر هذه الذرائع وتلك المبررات، بدعوى أن هناك جماعة أقوى من جماعة، أو دولة أعز من دولة، وإنما الذي يقره الإسلام هو مراعاة الوفاء بالعهود، وعدم اتخاذ الأيمان وسيلة للغش والخداع، فلا يصح أنْ يفيَ أحدنا ويُخلِف الآخر، لأن ذلك يتسبب في عدم تكافؤ الفُرص، ومعلوم أن مصالح العبادِ في الدنيا قائمة على الوفاء بالعهد(٩٣).

الخاتمة

ومما تقدّم يمكن تلخيص أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث وهي كالآتي:

١-أن الإسلام عقيدة قلوب، ومنهج تربية لهذه القلوب، والعاطفة الكريمة تهذب صاحبها وتنفعه في هذه الحياة الدنيا وفي دار الآخرة.

٢- الأمر برد السلام وإفشاءه بين الناس، لأن إفشاءها يؤدي إلى توثيق علاقات المحبة والمودة بين أبناء المجتمع كافة.

٣- الاعتناء بالأنساب لأنها شرعّت للتعارف، وذم التفاخر بها، فالكرامة لا تكون إلا بالاجتناب عن الرذائل الذي هو أصل التقوى، وكلما كانت التقوى أزيد رتبة، كان صاحبها أكرم عند الله تعالى وأجل قدرا.

٤- ان المؤمنون اخوة، جمعتهم رابطة الإِيمان، ولا ينبغي أن تكون بينهم عداوة ولا شحناء، ولا تباغضٌ ولا تقاتل.

٥- أن الرجال والنساء سواء في الأخوة، وفي القرآن آيات مؤيدة لتلك الأخوة.

٦- إن السبيل إلى توطيد العدل والسلم والحق بين أُمم الأرض ودولها لا تتم إلاّ بالأخوة، حيث تبدو بذلك روعة الهدى القرآني ومعجزته الخالدة.

٧- ان الأصل في العلاقة بين المؤمنين أن تقوم على الأخوة والتواصل والتراحم، لا على التنازع والتخاصم، وأنه إذا حدث نزاع بين طائفتين من المؤمنين، فعلى بقية المؤمنين أن يقوموا بواجب الإصلاح بينهما حتى يرجعا إلى حكم الله تعالى.

٨- ان شأن المسلمين إذا حدث شقاق بين طائفتين منهم، أن ينهض سائرهم بالسعي بالصلح بينهما، وبث السفراء إلى أن يرقعوا ما وهى، ويرفعوا ما أصاب ودهى.

٩- الاشارة الى ذم الشح وكونه من الأمور المذمومة، فقد وردت أخبار كثيرة بذمه، فهو البخل الشديد مع الجشع والطمع، وهو غريزة في النفس، ولذلك أضيف إليها.

١٠- ان من أهم الواجبات على الزوجين أن تسود بينهما المودة والحنان، والرحمة والإحسان ،كيف لا وهما شركاء البأساء والنعماء، والضراء والسراء.

١١- أن أبلغ ما في المأمورات العدالة، فهي أقواها أثرا في بناء المجتمع، وأقبح المنهيات البغي، وإن من المبادئ المحكمة التي يجب على المسلم أن يلتزم بها في كل حال، العدل المطلق الذي يتناول معاني الإنصاف وعدم الإجحاف وعدم تجاوز الحق قولا وفعلا في كل موقف ومناسبة.

١٢- إن المجتمع الذي فيه صفات العدل والاحسان، وإيتاء ذي القربى، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، لمجتمع سعيد وآمن، يسوده الحب والإيمان والإحسان، وإنه لجدير لهذا المجتمع أن تكون له الصدارة بين أمم الأرض كلها.

١٣- أن المراد من إطعام الطعام، الإحسان إلى المحتاجين ومواساتهم بأي وجه كان، وإنما خص الطعام لكونه أشرف أنواع الإحسان، لا جرم أن عبر به عن جميع وجوه المنافع.

١٤- أن أشرف أنواع الإحسان هو الإحسان بالطعام، لأن قوام الأبدان بالطعام، ولا حياة إلاّ به.

١٥- أن للناس مكارم أخرى في المرتبة الثانية بعد التقوى، مما شأنه أن يكون له أثر تزكية في النفوس، مثل حسن التربية ونقاء النسب والعلم ، وحسن السمعة في الأمم وفي الفصائل وفي العائلات.

١٦- الحث على البرّ في الأيمان، لأن فيه طاعة وبرّ وتقوى، وحثّ المسلم على الثبات على العهد الذي عاهد الله عليه، وأن من عاهد وجب عليه الوفاء بالعهد، فحينما آمن به وحده، وصدق برسالة رسوله، وما قد يقتضيه ذلك من التضحية بأي نفع دنيوي، لأن الباقي هو ما عند الله، وأن ما عند الناس مهما عظم فهو إلى زوال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

هوامش البحث ومصادره:

(١) سورة الأنعام: الآية ٤٨.

(٢) ينظر: كتاب العين: للإمام أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال: ٣/ ١١٧، ومعجم مقاييس اللغة: للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، اعتنى به الدكتور محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م: ٣/٣٠٣، والمصباح المنير: للعلامة احمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٠٧هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان: ١/ ٣٤٥ (مادة صلح).

(٣) ينظر: العين: للفراهيدي: ٣/ ١١٧، والقاموس المحيط: لمجد الدين أبي طاهر محـمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ه)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥: ١/ ٢٢٩، ولسان العرب: للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ: ٢/ ٥١٦ (مادة صلح).

(٤) سورة التوبة: الآية ١٠٢.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

(٦) ينظر: الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخدامه: لباسم الزبيدي، مؤسسة الناشر للدعاية والاعلام، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م:١١.

(٧) ينظر: طلبة الطلبة: لعمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (ت ٥٣٧هـ)، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، تاريخ النشر ١٣١١هـ: ١٤٤.

(٨) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م: ٤/ ١٤٧.

(٩) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: للإمام محمـد بن علي بن علي التهانوي الحنفي (ت ١١٥٨هـ)، وضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م: ٢/ ١٠٩٣.

(١٠) ينظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤ه: ٢/ ٣٥٥- ٣٥٦.

(١١) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(١٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة: ٣/ ٨٥٢.

(١٣) سورة النساء: الآية ٨٦ .

(١٤) ينظر: تفسير الشعراوي (الخواطر): للشيخ محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم: ٤/ ٢٥٠٠

(١٥) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: ٣/ ٨٥٢- ٨٥٣ .

(١٦) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: لمحمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨: ٣/٢٤٤ .

(١٧) ينظر: التفسير الحديث: لمحمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م: ٨/١٨٩- ١٩٠ .

(١٨) سورة النور: من الآية ٦١.

(١٩) سورة الرعد : من الآية ٢٤ .

(٢٠) سورة مريم: من الآية ٦٢ .

(٢١) سورة ابراهيم: من الآية ٢٣.

(٢٢) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: ٣/ ٢٨٤ .

(٢٣) ينظر: تفسير الشعراوي: ٤/ ٥٥٠٣ .

(٢٤) ينظر: التفسير الوسيط: لسيد طنطاوي: ٣/ ٣٤٥، والتحرير والتنوير: لابن عاشور:٥/ ١٤٧، والتفسير الوسيط: للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ: ١/ ٣٥٥ .

(٢٥) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٥/ ١٤٦، والتفسير الوسيط: للدكتور وهبة الزحيلي: ١/ ٣٥٥.

(٢٦) سورة الحجرات: الآية ٢٣ .

(٢٧) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب:١٣/ ٤٥٢ .

(٢٨) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٦/ ٢٥٨ .

(٢٩) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٦/ ٣٣٤٨ .

(٣٠) ينظر: التفسير الحديث: لمحمد عزت دروزة: ٨/ ٥٢٣ .

(٣١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ١٣/ ٤٥٢- ٤٥٣.

(٣٢) ينظر: التفسير الحديث: لمحمد عزت دروزة: ٨/ ٥٢٠، والتفسير الوسيط: لسيد طنطاوي: ١٣/ ٣١٩.

(٣٣) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٦/ ٢٥٩.

(٣٤) ينظر: التفسير الوسيط: لسيد طنطاوي:١٣/ ٣١٩.

(٣٥) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٦/ ٢٦٢.

(٣٦) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ١٣/ ٤٥٣- ٤٥٤.

(٣٧) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٦/ ٣٣٤٨.

(٣٨) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ١٣/ ٤٥٤، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٦/ ٢٦٣.

(٣٩) ينظر: التفسير الحديث: لمحمد عزت دروزة: ٨ / ٥٢١- ٥٢٣، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٦/ ٢٦٢.

(٤٠) ينظر: محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ: ٨/ ٥٢٩ .

(٤١) سورة الحجرات: الآية ١٠ .

(٤٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ١٣/٤٤٠- ٤٤٤.

(٤٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ: ٥/ ١٣٥، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفي (ت٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٨/ ١٢٠، ومحاسن التأويل: للقاسمي: ٨/ ٥٢٩.

(٤٤) ينظر: التفسير الكبير(مفاتيح الغيب): لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ ه: ٢٨/ ١٠٦، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٦/ ٢٤٥.

(٤٥) ينظر: التفسير الوسيط: لسيد طنطاوي: ١٣/ ٣٠٩، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي (ت ١٤٣٦هـ)، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ: ٢٦/ ٢٣٥.

(٤٦) سورة الحشر: الآية ٩.

(٤٧) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ١٤/ ٨٦٠، وروح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: لشهاب الدين محمود بن عبد الله بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ه: ١٤/ ٢٤٥، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب: ٦/ ٣٥٢٦ ، والتفسير المنير: للدكتور وهبة الزحيلي: ٧٨/٢٨ .

(٤٨) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ١٤/ ٨٦٠.

(٤٩) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ١٤/ ٨٦١، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب: ٦/ ٣٥٢٦ .

(٥٠) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٨/ ٣١ .

(٥١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ١٤/ ٨٦١، والتفسير الوسيط: لسيد طنطاوي: ١٤/ ٢٩٨، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب: ٦/ ٣٥٢٦.

(٥٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب: ١٤/ ٨٦١، والتحرير والتنوير: لابن عاشور:٢٨/ ٩٥.

(٥٣) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور:٢٨/ ٩٤

(٥٤) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية،

بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ: ٤/ ٢٧٢، وروح المعاني: للآلوسي: ١٤/ ٢٤٦، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٨/ ٩٤- ٩٥، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب: ٢٧٣٥/٦.

(٥٥) ينظر: التفسير الوسيط: لسيد طنطاوي: ١٤/ ٢٩٨.

(٥٦) سورة الروم، من الآية: ٢١.

(٥٧) ينظر: التفسير الحديث: لمحمد عزت دروزة: ٥/ ٤٤٠-٤٤٤.

(٥٨) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور:٢١/ ٧١-٧٢.

(٥٩) ينظر: التفسير الحديث: لمحمد عزة دروزة: ٥/ ٤٤١، وأوضح التفاسير: لمحمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت ١٤٠٢ه)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، المجلد الثالث، الطبعة السادسة، رمضان ١٣٨٣هـ- فبراير ١٩٦٤ م: ١/ ٤٩٣.

(٦٠) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٤/ ٢٥٤.

(٦١) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٦٢) التفسير الحديث: لمحمد عزت دروزة: ٥/ ١٦٧- ١٦٨.

(٦٣) ينظر: تفسير المراغي: لأحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م: ١٤/ ١٣٠.

(٦٤) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٤/ ٢١٩٠.

(٦٥) ينظر: تفسير المراغي: ١٤/ ١٣٠، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٤/ ٢٥٩، وتفسير الشعراوي: ١٣/ ٨١٥٥- ٨١٥٦.

(٦٦) سورة البقرة: من الآية ١٩٥.

(٦٧) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ٧/ ٣٤٩- ٣٥٠.

(٦٨) ينظر: التفسير الوسيط: لسيد طنطاوي: ٨/ ٢٢١.

(٦٩) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٤/ ٢١٩٠.

(٧٠) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ٧/ ٣٤٩.

(٧١) ينظر: التفسير الحديث: لمحمد عزت دروزة: ٥/ ١٦٨.

(٧٢) ينظر: تفسير المراغي: ١٣٣/١٤.

(٧٣) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٤/ ٢٥٨.

(٧٤) ينظر: محاسن التأويل: للقاسمي: ٦/ ٤٠٢، وتفسير المراغي: ١٤/ ١٣٢، والتفسير الوسيط: لسيد طنطاوي: ٢٢١/٨، وزهرة التفاسير: لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤ه)، دار النشر، دار الفكر العربي: ٨/ ٤٢٥٢.

(٧٥) ينظر: تفسير المراغي: ١٤/ ١٣٣، والتفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ٧/ ٣٥١، والتفسير الوسيط: لسيد طنطاوي: ٨/ ٢٢١.

(٧٦) سورة الإنسان: الآية ٨ .

(٧٧) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ١٥/ ١٣٦٢.

(٧٨) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٩/ ٣٨٤.

(٧٩) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ١٥/ ١٣٦٢.

(٨٠) ينظر: تفسير المراغي: ٢٩/ ١٦٥، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٩/ ٣٨٤.

(٨١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ١٥/ ١٣٦٣.

(٨٢) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ٣٠/ ٧٤٧، ومحاسن التأويل: للقاسمي: ٩/ ٣٧٥، والتفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ١٥/ ١٣٦٣، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٩/ ٣٨٤ .

(٨٣) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٩/ ٣٨٤ .

(٨٤) ينظر: محاسن التأويل: للقاسمي: ٩/ ٣٧٥.

(٨٥) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٦/ ٣٧٨١ .

(٨٦) سورة النحل: الآية ٩١.

(٨٧) ينظر: التفسير الوسيط: لسيد طنطاوي: ٨/ ٢٢٣.

(٨٨) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٤/ ٢١٩١.

(٨٩) ينظر: تفسير المراغي:١٤/ ١٣٣، والتفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ٧/ ٣٥١- ٣٥٢، والتحرير والتنوير: ١٤/ ٢٦٢، وتفسير الشعراوي: ١٣/ ٨١٧٣.

(٩٠) ينظر: التفسير الوسيط: لسيد طنطاوي: ٨/ ٢٢٣- ٣٣٤، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٤/ ٢٦١، وتفسير الشعراوي: ١٣/ ٨١٧٥.

(٩١) ينظر: تفسير المراغي: ١٤/ ١٣٣، و التفسير الوسيط: لسيد طنطاوي: ٨/ ٢٢٤، والتحرير والتنوير: لابن عاشور:١/ ٢٦٣.

(٩٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم الخطيب: ٧/ ٣٥٢.

(٩٣) ينظر: التفسير الوسيط: لسيد طنطاوي: ٨/ ٢٢٥- ٢٢٦، وتفسير الشعراوي: ١٣/ ٨١٧٢.

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفي (ت٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. (ب- ت).

٢- الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخدامه: لباسم الزبيدي، مؤسسة الناشر للدعاية والاعلام، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

٤- أوضح التفاسير: لمحمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت ١٤٠٢ه)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، المجلد الثالث، الطبعة السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م.

٥- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤هـ.

٦- التفسير الحديث: لمحمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

٧- تفسير الشعراوي (الخواطر): للشيخ محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.(ب، ت).

٨- التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.(ب، ت).

٩- التفسير الكبير(مفاتيح الغيب): لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ

١٠- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١١- تفسير المراغي: لأحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي (ت ١٤٣٦هـ)، الناشر : دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.

١٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: لمحمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨.

١٤- التفسير الوسيط: للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٥- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: لشهاب الدين محمود بن عبد الله بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٦- زهرة التفاسير: لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤ه)، دار النشر، دار الفكر العربي.(ب، ت).

١٧- طلبة الطلبة: لعمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (ت ٥٣٧هـ)، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، تاريخ النشر ١٣١١هـ.
١٨- في ظلال القرآن: لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر. ١٤١٢ هـ.
١٩- القاموس المحيط: لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ه)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥.
٢٠- كتاب العين: للإمام أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال. (ب، ت).
٢١- كشاف اصطلاحات الفنون: للإمام محمد بن علي بن علي التهانوي الحنفي (ت ١١٥٨هـ)، وضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.
٢٢- لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
٢٣- لسان العرب: للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
٢٤- محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
٢٥- المصباح المنير: للعلامة احمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٠٧هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان. (ب، ت).
٢٦- معجم مقاييس اللغة: للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، اعتنى به الدكتور محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٢٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.